بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(٥٣)

تنبيه ذوى الإدراك عن بعض أسباب الهلاك

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١] أما بعد:.

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

أيها الناس :.

لقد حذر الله تعالى عباده وأنذرهم سطوته وغضبه وعذابه ونقمته

فقال الله سبحانه ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠]

بل وأرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء:١٦٥]

ومما حذرهم الله تعالى إياه أسباب هلاكهم في الدنيا والآخرة

قال الله سبحانه ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾ [سورة محمد:١٣]

وكم في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ من التحذير من ذلك وذِكر الأسباب التي تؤدي إلى الهلاك أجارنا الله تعالى وإياكم منها.

فمن ذلكم الظلم بنوعيه الأكبر والأصغر

قال الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة هود:١٠٢-١٠٣]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: يقول تعالى: وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا كذلك نفعل بنظائرهم وأشباههم وأمثالهم، ﴿ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ:

"إن الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته"، ثم قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.ا.هـ (١)

وقال جل وعلا﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الحج:٤٥]

قال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه أهلك كثيراً من القرى في حال كونها ظالمة: أي بسبب ذلك الظلم، وهو الكفر بالله وتكذيب رسله، فصارت بسبب الإهلاك والتدمير ديارها متهدمة وآبارها معطلة، لا يسقي منها شيء لإهلاك أهلها الذين كانوا يستقون منها. ا. هـ (٢)

وقال سبحانه﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحج:٤٧-٤٨]

فيا أيها الناس إن الظلم شؤمه عظيم فهومن أعظم أسباب الهلاك، وأعظمه هو الشرك بالله تعالى قال سبحانه على لسان لقمان عليه السلام﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان:١٣]

---

(١) . عند تفسيره لسورة [هود:١٠٢-١٠٣]

(٢) . عند تفسيره لسورة [الحج:٤٥]

وإذا عم في الأرض أذن الله سبحانه بهلاكها وخرابها فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله ". وفي رواية: " لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله ". رواه مسلم (١)

فهذا أعظم الظلم وأكبره وهو من أعظم أسبا ب الهلاك والدمار.

وكذلك ظلم العبد لنفسه بالمعاصي والمنكرات هو من الظلم الذي يكون فيه هلاك للعبد بحسبه يقول عليٌّ – رضي الله عنه ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، وما رُفِع إلا بتوبة".

روى البخاري وأحمد، عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْمُوبِقَاتِ. قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ". (٢)

ولما ذكر الله سبحانه ما أذاق الأمم السابقة من العذاب والنكال بسبب ظلمهم وإعراضهم وذنوبهم حذر هذه الأمة أن ينالهم ويصيبهم ما أصابهم فقال جل وعلا ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:٨٣]

وثبت عند الإمام البخاري معلقا وأحمد رَحِمَهُ اللَّهُ موصولا من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال " وجعل الذل والصغار على من خالف أمري" (٣)

فذلك الذل والصغار الذي يصيب العبد هو هلاكه والعياذ بالله.

---

(١) . " بَابُ ذَهَابِ الْإِيمَانِ آخِرَ الزَّمَانِ" برقم [١٤٨]

(٢) . " بَاب: مَا يُتَّقَى مِنْ محقَّرَات الذُّنُوبِ" برقم [٦١٢٧]

(٣) . البخاري " بَابُ مَا قِيلَ فِي الرِّمَاحِ " وأحمد برقم [٥١١٤]

وكذلك ظلم العباد فيما بينهم البين سبب للهلاك والعياذ بالله فالظلم مزلزل للدول مفنٍ للأمم قال الله سبحانه ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:١١-١٥]

وكم من الظلم الحاصل في الناس إلا من رحم الله تعالى وقليل ما هم، ظلم العبد لنفسه بالشرك وظلم العبد لنفسه بالمعاصي والسيئات وظلم الرجل لامرأته أولأبويه أولجاره أو لشريكه أو لغيرهم فالظلم أبوابه كثيرة فالغيبة ظلم والنميمة ظلم وأخذ الحقوق ظلم وهلم جرا وهكذا المرأة تظلم غيرها من زوج وغيره.

فحذار حذار عباد الله من الظلم فإن له من الله تعالى طالبا أجارنا الله وإياكم منه.

ومن أسباب الهلاك الغلو في الدين

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ غداة العقبة وهو على ناقته "القط لي حصى فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول أمثال هؤلاء فارموا ثم قال يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين" أخرجه أحمد وصححه الألباني [(١)]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال:

(١) . صحيح. أحمد برقم [٣٢٤٨] السلسلة الصحيحة برقم [١٢٨٣]

"هلك المتنطّعون" قالها ثلاثاً أخرجه مسلم [١]

وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب حينما غلو في الدين فقال سبحانه وتعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة:٧٧]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نهى عن الغلو. والغلو التجاوز في الحد. ا. هـ [٢]

قال عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: الْغُلُوُّ: فِرَاقُ الْحَقِّ، وَكان مِمَّا غَلَوْا فِيهِ أَنْ دَعَوْا لِلَّهِ صَاحِبَةً وَوَلَدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ا. هـ [٣]

وقال سبحانه ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة الحديد:٢٧]

فهذا من الغلو في الدين الذي نهى عنه ربنا في كتابه وفي سنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ، وما هلكت الخوارج حتى وصلوا إلى أن كانوا كلاب أهل النار كما قال عنهم رسو ل الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ إلا بسبب غلوهم في الدين فعن أبي غالب رأى أبو أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ رؤوسا منصوبة على درج دمشق فقال أبو أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: " كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه "ثم قرأ ﴿تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾[سورة آل عمران:١٠٦] الآية قيل لأبي أمامة: أنت سمعت من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو

(١) . " بَابٌ: هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ" برقم [٢٦٧٠]

(٢) . عند تفسيره لسورة [سورة المائدة:٧٧]

(٣) . «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١١٨٠)

مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه. رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: والفرقُ بين الاقتصاد والتقصير أنَّ الاقتصادَ هو التوسُّطُ بين طرفي الإفراطِ والتفريط، وله طرفان هما ضدان له: تقصيرٌ ومجاوزةٌ، فالمقتصدُ قد أخذ بالوسطِ وعدل عن الطرفين . . .. والدينُ كُلُّهُ بين هذين الطرفين ، بل الإسلامُ قصدٌ بين المِلل والسُّنَّةُ قصدٌ بين البدع ، ودينُ اللهِ بين الغالي فيه والجافي عنه . . . وما أمَرَ اللهُ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان : فإمَّا إلى غلوٍ ومجاوزةٍ ، وإما إلى تفريطٍ وتقصيرٍ ، وهما آفتان لا يخلُص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل إلا من مشى خلفَ رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ وتَرَكَ أقوالَ الناسِ وآراءَهم لِمَا جاء به ، لا من تَرَكَ ما جاء به لأقوالهم وآرائِهم ، وهذان المَرَضَان الخَطِران قد استوليا على أكثرِ بني آدم ولهذا حذَّر السلفُ منهما أشدَّ التحذير ، وخوَّفوا مَن بُلِيَ بأحدِهما بالهلاك ، وقد يجتمعان في الشخصِ الواحدِ كما هو حالُ أكثرِ الخلقِ : يكونُ مقصِّراً مُفَرِّطاً في بعض دينه ، غالياً متجاوِزاً في بعضه والْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَاهُ الله. ا. ه[٢]

وما أوصل أهل الشرك وعباد القبور إلى ما وصلوا إليه إلا الغلو في محبة وتعظيم الصالحين زعموا.

وكم جر الغلو في الدين على الإسلام وأهله من البلاء والشر والفتن عصمنا الله وإياكم منها.

ومن أسباب الهلاك ترك سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) . حسن.أحمد برقم [٣٠٠٠] الصحيح المسند برقم [٤٨٢] مشكاة المصابيح برقم [٣٥٥٤]

(٢) . الروح - (١ / ٢٥٧)

قال الله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣]

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: عن أمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ سبيله هو ومنهاجه وطريقته [وسنته] وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله، كائنا ما كان، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "من عمل عَمَلا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ"(١)

أي: فليحذر وليخْشَ من خالف شريعة الرسول باطنًا أو ظاهرًا ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: في قلوبهم، من كفر أو نفاق أو بدعة، ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: في الدنيا، بقتل، أو حَد، أو حبس، أو نحو ذلك.

ثم ساق الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قال" مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها". ا. هـ (٢)

(١) . البخاري " بَابُ النَّجْشِ وَمَنْ قَالَ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ الْبَيْعُ..." مسلم برقم [١٧١٨]

(٢) .البخاري برقم [٦١١٨] مسلم برقم [٢٢٨٤]

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: "فمن رغب عن سنتي فليس مني "متفق عليه [١]

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ "لكل عمل شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك " رواه أحمد وابن أبي وعاصم وابن حبان وصححه الألباني والوادعي وبوب عليه الإمام الوادعي في جامعه (باب ترك السنة هلاك) [٢]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ " ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم" أخرجه مسلم [٣]

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول" لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك " رواه أحمد وصححه الألباني [٤]

وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال " ألا إن من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفرق

---

(١) . البخاري برقم [٤٧٧٦] مسلم برقم [١٤٠١]

(٢) . صحيح.أحمد برقم [٦٧٦٤] الصحيح المسند برقم[٨٠٢] «السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة » [٥١]

(٣) . " بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ ..."برقم [١٣٣٧]

(٤) .صحيح. أحمد برقم [١٧١٤٢] السلسلة الصحيحة برقم [٩٣٧]

على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة " الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]

فتأملوا كيف جعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ الفرقة كلها هالكة وكلها في النار إلا التي تكون على سنته عليه الصلاة والسلام.

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: عن سفيان بن عيينة أنه قال سألت مالكا عمن أحرم من المدينة وراء الميقات فقال هذا مخالف لله ورسوله أخشى عليه الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة أما سمعت قوله تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣] وقد أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ أن يهل من المواقيت.

وحكى ابن العربي عن الزبير بن بكار قال سمعت مالك بن انس وأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله من أين أحرم قال: من ذي الحليفة حيث أحرم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فقال إني أريد أن أحرم من المسجد فقال لا تفعل قال فإني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر قال لا تفعل فإني أخشى عليك الفتنة؛ فقال وأي فتنة هذه إنما هي أميال أزيدها قال وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم إني سمعت الله يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣].ا.هـ [٢]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن

(١) . صحيح. صحيح الترغيب والترهيب - (١ / ١٢)

(٢) . «الاعتصام للشاطبي ت الهلالي» (١/ ١٧٤)

تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[سورة النور:٥٤]

قال أبو عثمان النيسابوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أمّر السنة على نفسه. قولا وفعلاً. نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه. قولا وفعلا. نطق بالبدعة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [سورة النور:٥٤] .(١)

وهذا الصديق الأكبر أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لست تاركا شيئا كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يعمل به الا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ.(٢)

يقول الإمام أحمد: من رد حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فهو على شفا هلكة.(٣)

وقال ابن وهب كنا عند مالك فذكرت السنة، فقال مالك: السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق.(٤)

وعن الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتبع سبل الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين.(٥)

قال الإمام العيني رحمه الله: رأى حذيفة رجلا يصلي بعد العصر فنهاه فقال أو يعذبني الله عليها قال يعذبك على مخالفة السنة. ا. هـ (١)

(١) . «الزهد الكبير للبيهقي» (ص١٥١)

(٢) .البخاري برقم [٢٩٢٦] مسلم برقم [١٧٥٩]

(٣) . «الإبانة الكبرى – ابن بطة» (١/ ٢٦٠)

(٤) . «تاريخ بغداد ت بشار» (٨/ ٣٠٨)

(٥) . «الاعتصام للشاطبي ت الهلالي» (١/ ١١٢)

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ لم يحل له أن يدعها لقول أحد. (٢)

ومن أسباب الهلاك كثرة المال والشح والبخل به

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أمشي مع رسول الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نخل لبعض أهل المدينة فقال "يا أبا هريرة هلك المكثرون الا من قال هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات حثا بكفه عن يمينه وعن يساره وبين يديه وقليل ما هم" أخرجه أحمد وصححه الوادعي رحمه الله تعالى (٣)

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم: حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ". رواه مسلم (٤)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ "خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا "رواه أحمد وصححه العلامة الوادعي والألباني (٥)

---

(١) . «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٥/ ٧٨)

(٢) . مناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٤٧١، الرسالة ص ٤٢٥، إعلام الموقعين (٢/ ٢٨٢)

(٣) . صحيح. أحمد برقم [٨٠٨٥] الصحيح المسند برقم [١٣٥١] «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٧٠)

(٤) . " بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ" برقم [٢٥٧٨]

(٥) . صحيح.أحمد برقم [٦٤٨٧] الصحيح المسند برقم [٧٩٥] السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم [٨٥٨]

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال "وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه "رواه البزار والبيهقي وغيرهما قال الألباني حسن لغيره[١]

معاشر أهل الإسلام هذه بعض الأسباب التي حذرنا الله تعالى في كتابه والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في سنته وهي من أسباب الهلاك والعياذ بالله. أسأل الله أن يجيرنا وإياكم من أسباب غضبه وعقابه ونقمته وهلاكه.

وأن يجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ومن كل عسر يسرا ومن كل بلاء عافية والحمد لله رب العالمين.

(١) . حسن. البزار برقم [٣٣٦٦] «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٣٠)برقم [٥٣]